دراسة العربية على ما قاله القدماء فحسب بل ينبغي له أن يأخذ بعين الاعتبار ما يقوله غيرهم من غير العرب. وبصفة أدقّ نقول إنّه رسّخ الاعتقاد بأن العربية لا يمكن أن تدرس بالاقتصار عليها بل يجب تنزيلها وتنزيل ظواهرها ضمن الألسنة التي تشبهها وضمن الألسنة عموما. وهو يمثل نقلة نوعيّة في تناول التراث لوعيه أن نقد التراث النحوي ينبغي أن يعتمد مستخلصات علم اللّغة. وقد لاحظنا عنده تقدّما بالنظر إلى سابقيه في تصوّره للعلم عموما وخاصّة علاقة المعطيات بالأصول النظرية، حيث رأيناه يميّز بين قياس أرسطو والقياس الاستقرائي [1]. ويحترز من دعوة الكوفة إلى القياس على الشاذّ [2] ويميل بعض الميل في هذه النقطة إلى ما تقوله البصرة مقدّرا أهميّة الاطّراد حقّ قدرها.

وقد كان له الفضل في توضيح بعض الخصائص الكليّة للألسنة البشرية ونعني الاعتباطية من خلال الفصول التي عقدها في الباب الثاني تحت عنوان منطق اللغة. وبيّن أن لكلّ لسان منطقه الخاص ونظامه الخاص به [3] وألحّ على ما يوجد من فرق بين المنطق العقلي العام وبين نظام كلّ لسان على حدة وتتبّع ذلك وأبرزه في مستوى الأصوات [4] والظواهر النحويّة [5] كالإفراد والجمع [6] والتذكير والتأنيث [7] والفكرة الزمنية [8] والنفي اللغوي [9] وتلك ثمرة من ثمار المقارنة بين الألسنة وفائدة من فوائد اتّساع أفق اللّغويين وعدم اقتصارهم على دراسة لسان واحد هو لسانهم عادة.

---

1 المرجع السابق ص 30.

2 المرجع السابق ص 12/11.

3 المرجع السابق ص 138.

4 المرجع السابق ص 150/131.

5 المرجع السابق ص 191/151.

6 المرجع السابق ص 152.

7 المرجع السابق ص 158.

8 المرجع السابق ص 163.

9 المرجع السابق ص 165.